

## ٧- غزوة بدر الكبرى «يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»

## غزوة بدر الكبرى

## ١- أحداث الغزوة:

قال ابن القيم رحمته الله: فلما كان في رمضان من هذه السنة «أي الثانية من الهجرة» بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها. وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً، لأنه خرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقدام بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجال والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً<sup>(١)</sup>.

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم فأعرض عنه فقام سعد بن عباد فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول ما لي علم

(١) هذا قول ابن إسحاق في «السيرة» (١/٦٣/١/٤١١).

وفي «مسند أحمد» (٣٩٠١، ٣٩٦٥) من حديث ابن مسعود كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، أي يعتقبون، وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكانت عقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» وصححه الحاكم (٣/٢٠) ووافقه الذهبي وحسنه في «تحقيق الزاد».

بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربه، فقال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية بن خلف في الناس فإذا قال هذا أيضًا ضربه ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: والذي نفسي بيده لتضربه إذا صدقكم وتركوه إذا كذبكم. قال: فقال رسول الله ﷺ هذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ (١).

قال ابن القيم: وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا لقريش بالنفير إلى غيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ «بحدهم وحديدهم تحاده وتحاد رسوله» وجاءوا على حرد قادرين، وعلى حمية وغضب، وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه لما يريدون من أخذ غيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي والغير التي كانت معه فجمعهم الله على خير ميعاد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، فسار رسول الله ﷺ إلى بدر وخفض أبو سفيان فلاحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم بها ونطعم من حضرنا

(١) رواه مسلم (١٢/ ١٢٥، ١٢٦) «الجهاد والسير».

من العرب، وتحافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا زهري، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس فلم يزل فيهم مطاعًا معظمًا<sup>(١)</sup>.

**قال الدكتور أكرم العمري:** وقد وصف علي عليه السلام في رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد» فلما طلع الفجر نادى «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرص على القتال<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»<sup>(٣)</sup>.

**قال ابن القيم رحمه الله:** فأنزل الله في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وبالأشدّ منعه من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الحياض، وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش يكون فيها على تل يشرف على

(١) باختصار من «زاد المعاد» (١٧٤/٣).

(٢) «المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين» [٤٦].

والحديث رواه أحمد في المسند (الفتح الرباني ٣٠/٢١، ٣٦).

(٣) رواه البخاري (٣٣٥/٧) المغازي.

المعركة في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان - إن شاء الله -، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته<sup>(١)</sup>.

واستنصر المسلمون الله واستغاثوه، وأخلصوا له وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله: ﴿أَنِّي مُبَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ أَلَمَتِيكَهٗ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]؛ قرئ بكسر الدال وفتحها، فقليل المعنى: أنهم ردف لكم، وقيل: يردف بعضهم بعضاً أرسالاً لم يأتوا دفعة واحدة.

**قال الدكتور أكرم العمري:** وكان رسول الله ﷺ يباشر القتال بنفسه، قال علي رضي الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً»<sup>(٢)</sup>.

وقد بدأ القتال بمبارزات فردية حيث تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة طالبين المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم طالبين مبارزة بني قومهم، فأمر الرسول ﷺ حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وقد تمكن حمزة من قتل عتبة، ثم قتل علي شيبته، وأما عبيدة فقد تصدى للوليد وجرح كل منهما صاحبه، فعاونه علي وحمزة فقتلوا الوليد، واحتملا عبيدة إلى معسكر المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وقد أثرت نتيجة المبارزة في معسكر قريش وبدأوا الهجوم، فأمر النبي ﷺ أصحابه بنضح المشركين بالنبل إذا اقتربوا منهم، حرصاً على الإفادة من النبال بأقصى ما يستطيع فقال: «إذا أكبثوكم فارموهم واستبقوا نبلكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٧٥، ١٧٦) وقد أشار إلى هذا المعنى حديث علي عند أحمد (١/ ١١٧) وما رواه مسلم عن أنس وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٨) وقال أحمد شاكر: صحيح.

(٣) رواه أبو داود [٢٦٤٨] الجهاد، وصححه ابن حجر وسكت عنه المنذري، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم [٢٣٢١].

(٤) رواه البخاري (٧/ ٣٥٦) «المغازي»، وأبو داود [٢٦٤٦] «الجهاد».

ويذكر عروة وقتادة أن رسول الله ﷺ رمى الحصا في وجوه المشركين<sup>(١)</sup>، وتدل على صحة ذلك الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: ثم حمى الوطيس واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهاال ومناشدة ربه عزَّ وجلَّ حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك<sup>(٣)</sup>.

وجاء النصر وأنزل جنده وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين<sup>(٤)</sup>.



(١) عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها قال: «شاهت الوجوه» فانهز منا فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] = قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن، وله شاهد عن ابن عباس رواه الطبراني أيضاً، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم (١٢ / ٨٤) «الجهاد والسير» وسيأتي الحديث بطوله - إن شاء الله -.

(٣) باختصار من «زاد المعاد» (٣ / ١٨٠، ١٨١).

(٤) رواه البخاري (٣٥٨ / ٧) المغازي.

## هلاک أئمة الکفر أبو جهل بن هشام وأمیه بن خلف، وعقبته بن أبي معیط

هلاک أبي جهل:

عن عبد الرحمن بن عوف رحمته الله قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل؟! فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرًا من صاحبه مثله، قال: فما سرنى أي بين رجلين مكانهما، فأشرت إليه فشدوا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابن عفرأ.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرأ حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل. فقال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قال: قتله قومه. قال أبو مجلز قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني<sup>(١)</sup>.

هلاک أمیه بن خلف:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتابًا بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو، فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا. فلما

(١) رواه البخاري (٣٤٢/٧) المغازي، رواه مسلم (١٦٠/١٢) «الجهاد والسير».

وقال النووي: قوله: «لو غير أكار قتلني» الأكار الزراع والفلاح، وهو عند العرب ناقص، وأشار أبو جهل إلى ابني عفرأ اللذين قتلاه وهما من الأنصار، وهما أصحاب زرع ونخيل، ومعناه: لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إليّ وأعظم لشأني، ولم يكن على نقص في ذلك، «شرح النووي على صحيح مسلم هامش» (١٠٠/١٢).

خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه<sup>(١)</sup>.

### هلاک عقبه بن أبي معيط أشقى القوم:

أما عقبه بن أبي معيط فقد أمر النبي ﷺ بضرب عنقه وكان في الأسرى لما نزل بعرق الظبية<sup>(٢)</sup> وفيه جواز قتل الأسير الكافر لأنه كان من أشقى القوم ومن يطلق عليهم بمصطلح العصر مجرم حرب، وسيق هؤلاء الأشقياء الثلاثة إلى النار ويئس القرار، وكم لاقى المسلمون بمكة من إيذائهم واستهزائهم، وليبشر أئمة الكفر في كل زمان بهذه النهاية المشؤومة، إن لم يتوبوا إلى ربهم، ويشوبوا إلى رشدهم، فإن الله عز وجل يمهل ولا يهمل: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِيَ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢].

(١) رواه البخاري (٥٦٠ / ٤) الوكالة. وترجم له البخاري باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام جار.

وابنه هو علي بن أمية. وقوله: «بأن يحفظني في صاغيته» الصاغية خاصة الرجل. قال الأصمعي: صاغية الرجل كل من يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(٢) رواه أبو داود [٢٦٦٩] الجهاد بمعناه وسكت عنه المنذري. ذكر الهيثمي في المجمع عن ابن عباس قال: فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف، وقتل عقبه بن أبي معيط قبل الفداء، قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً قال: من للصبيبة يا رسول الله؟ قال: «النار».

وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (٨٩ / ٦).

(٣) رواه البخاري (٣٥٠ / ٧)، (٣٥١) المغازي.

## مخاطبة النبي ﷺ أئمة الكفر والضلال وقد وصلوا إلى حضرة من النار وبئس القرار

عن قتادة قال: ذكرنا لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقفوا في طوي من أطواء بدر حيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله؟ فإننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً»، قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ: وسيأتي من حديث البراء أن قتلى بدر من الكفار كانوا سبعين، وكان الذين طرحوا في القليب كانوا الرؤساء منهم، ثم من قريش، وخصوصاً بالمخاطبة المذكورة لما تقدم منهم من المعاندة وطرح باقي القتلى في أمكنة أخرى<sup>(٢)</sup>.

وقال: وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] وكذلك المراد بمن في القبور فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وهذا هو قول الأكثر<sup>(٣)</sup>.

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٥٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٣٥٤).

(٣) وظاهر القرآن والسنة يجب المصير إليه الجمع كما ذكر العلماء أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠] على ظاهره وهو عام، أما قوله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» خاص ولا يتعارض خاص عام، فالأصل أن الموتى لا يسمعون كما دلت عليه الآية الأخرى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ولكن الله عز وجل أسمع هؤلاء معجزة لنبيه ﷺ ولتوبيخهم وزيادة في ذلهم وعذابهم.



### فصل في نزول الملائكة يوم بدر

دلت أدلة الكتاب والسنة على نزول الملائكة يوم بدر وقتالهم مع المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ على المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمد الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشدد في إثر رجل من المشركين أمامه إذا سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٢ / ٨٥ / ٨٦) «الجهاد والسير».

وقال النووي: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوي قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيجه من غير أذى يلحق المسلمين.

وقد أسر رجل من الأنصار العباس بن عبد المطلب فقال العباس: «يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق، ما رواه في القوم» فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: «اسكتْ فقد أيدك الله تعالى بِمَلِكٍ كَرِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح البخاري»: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»<sup>(٢)</sup>.  
فإن قيل: ما الحكمة في نزول الملائكة مع أن جبريل وحده قادر على إهلاكهم بأمر الله. أجب السبكي بقوله: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وستنها التي أجراها الله تعالى في عبادته. والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

#### فصل في الأسارى وإباحة الغنائم:

عن ابن عباس قال: لما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر «ما ترون في هؤلاء الأسارى». فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب» قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل وتمكنى من فلان نسيبًا لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر

(١) رواه أحمد (١١٧/١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة (مجمع الزوائد ٦/٧٥، ٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢/٧، ٣٦٣) المغازي.

(٣) «فتح الباري» (٧/٣٦٤).

قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم»<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي في تفسير الآية ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾: ما صح له وما استقام وقرئ «للنبي» على العهد، والمراد على كل نبينا ﷺ وإنما نكر تلفظاً به حتى لا يواجه العتاب وقرئ أسارى.

ومعنى: ﴿يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] يكثر القتل ويبالغ فيه، حتى يذل الكفر، ويقل حزه ويعز الإسلام، ويستولى أهله. يقال: أثخن في العدو، بالغ في قتلهم كما في «الأساس» وأثخن في الأرض قتلاً إذا بلغ، وقال ابن الأعرابي: أثخن إذا غلب وقهر، قال الرازي: وإنما حملة الأكثرين على القتل لأن الدولة إنما تقوى به.

قال المتنبي:

لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنْ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

ولأنه يوجب قوة الرعب وشدة المهابة فلذلك أمر الله تعالى به<sup>(٢)</sup>.

**من روائع الإيمان يوم الفرقان يوم التقى الجمعان:**

قال صفى الرحمن المباركفوري: وقد تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت

(١) رواه مسلم (١٢/٨٦، ٨٧) «الجهاد والسير».

(٢) «محاسن التأويل» (٨/٩٧، ٩٨).

بينهما المبادئ، ففصلت بينهما السيوف، والتقى المهجور بقاهره فشقى منه غيظه<sup>(١)</sup>، فمن ذلك:

❁ أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام عمير بن الحمام فقال: «يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بخ بخ يا رسول الله، قال: «ما يملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل<sup>(٢)</sup>.

❁ وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

❁ وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير العبدي بأخيه أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين، مر به وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصار: شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب: إنه - أي الأنصار-، أخي دونك.

❁ قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسرًا، فترك درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل»<sup>(٣)</sup>.

(١) «الرحيق المختوم» [٢٦٠] ط. مكتبة الصحابة.

(٢) رواه أحمد (٣/١٣٦، ١٣٧)، ومسلم (١٣/٤٥)، الإمامة، والحاكم (٣/٤٢٦) وقوله: «بخ بخ» اسم فعل

بمعنى أستحسن، تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخبر.

(٣) «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٣/٣٩) ط. الكليات الأزهرية.

## الفوائد والآثار الإيمانية:

١- استجاب الله عزَّ وجلَّ في هذه الغزوة المباركة: دعوة النبي ﷺ على مشركي قريش، كما في حديث ابن مسعود في إلقاء المشركين سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي عند البيت، فقال ﷺ: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط»<sup>(١)</sup>.

فقتل هؤلاء الستة يوم بدر وأقر الله عزَّ وجلَّ عين نبيه بهلاكهم وتحقق قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجرات: ٩٥].

أما أبو لهب فقد كان بمكة ولم يخرج إلى بدر، وفجع بهلاك رؤوس الكفر ثم أهلكه الله عزَّ وجلَّ بعد ذلك بقليل وجعله عبرة للمعتبرين.

عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه، وكان أبو لهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان له عليه دين فقال له: اكفني من هذا الغزو وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر وكبت الله أبا لهب، وكنت رجلاً ضعيفاً أنحت أقداحي في الحجرة وعندي أم الفضل، إذا الفاسق أبو لهب يجر رجله أراه، قال: حتى جلس عند طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث، فقال أبو سفيان: هلم يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء، والله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله ما لمت الناس قال: ولم؟ قال: رأيت رجلاً بيضاً على خيل بلق، لا والله لا يليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال: فرفعت طنب الحجرة فقلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فلطم وجهي وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض حتى نزل عليّ، وقامت أم الفضل فاحتجرت وأخذت عموداً من عمد الحجرة فضربت به

(١) تقدم تخریجه.

فقلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه، فقام ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله، فتركه ابنه يومان أو ثلاثة ما يدفناه حتى أتنن. فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان، أن أبكما قد أتنن في بيته. فقالا: إنا نخشى هذه القرحة، وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون، فقال رجل: انطلقا فأنا معكما. قال: فوالله ما غسلناه إلا قذفاً بالماء من بعيد، ثم احتملوه فقفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة<sup>(١)</sup>.

٢- قال السهيلي في «الروض»: كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله ﷺ بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبتته، ومقام رسول الله ﷺ هو المقام الأحمَدَ ويقينه فوق يقين كل أحد، فسمعت شيخنا الحافظ: يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف وكان صاحبه في مقام الرجاء، وكلا المقامين سواء في الفضل، لا يريد أن النبي ﷺ والصدِّيق سواء، ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمان منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله والنبي ﷺ لا بد له من ذلك عبادته، وأما قاسم بن ثابت فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما قال ذلك الصديق مأوية للنبي ﷺ ورقة عليه، لما رأى من نصبه في الدعاء قال ذلك في الدعاء والتضرع حتى سقط الرءاء عن منكبيه فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي: لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٣- قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله في التقديم لسورة الأنفال ما ملخصه: في هذه الغزوة التي أجملنا عرضها بقدر المستطاع نزلت سورة الأنفال، نزلت تعرض وقائع (١) قال الهيثمي: رواه الطبراني والبخاري وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقيته رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٩).

(٢) «الروض الأنف» هامش (٣/ ٤٧) مع سيرة ابن هشام.

الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبرة، وتكشف عن قدرة الله وتديره في وقائع الغزوة، وفيما وراءها من خط سير التاريخ البشرى كله، وتحدث عن هذا كله بلغه القرآن الفريدة وبأسلوب القرآن المعجز. لقد بدأت السورة بتسجيل سؤالهم عن الأنفال، وبيان حكم الله فيها، وردها إلى الله والرسول، ودعوتهم إلى تقوى الله وإصلاح ذات بينهم. ثم جعل يذكرهم بأمرهم وتديبرهم لأنفسهم، وتديبر الله لهم، ومدى ما يروونه من واقع الأرض، ومدى قدرة الله من ورائه ومن ورائهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ٥﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨﴾ [الأنفال: ٥-٨].

ثم ذكرهم بما أمدهم به من العون، وما يسره لهم من النصر، وما قدره لهم بفضلهم من الأجر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ٩﴾ [الأنفال: ٩]، وهكذا يمضي سياق في هذا المجال يسجل أن المعركة بجملتها من صنع الله وتديره وقيادته وتوجيهه، بعونه ومدده بفعله وقدره له وفي سبيله... ومن ثم تجريد للمقاتلين ابتداءً من الأنفال وتقرير أنها لله وللرسول، حتى إذا ردها الله عليهم كان ذلك مناً منه وفضلاً، وكذلك يجردهم من كل مطمع فيها ومن كل مغنم ليكون جهادهم في سبيله خالصاً له وحده فتزد أمثال هذه النصوص: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ١٠﴾ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ١١﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَفَكُمْ الْإِنسَانُ فَثَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ١٢﴾ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٣﴾ [الأنفال: ٢٦: ١)].

(١) باختصار من «في ظلال القرآن» (٣/ ١٤٦٣، ١٤٦٤).

روى مسلم في سبب نزول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: نزلت في أربع آيات، أصبت سيفاً فأتى به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! نفلني فقال: «ضعه» ثم قام فقال له



٤- قال الأستاذ محمود شيت خطاب، تحت عنوان: «دروس من بدر» ما ملخصه: استفاد

الطرفان من دوريات الاستطلاع في الحصول على المعلومات ليحولوا دون مباغتتهم، وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقفها على الأرض جيداً مفيداً.

وقد ظهرت لنا نافذة استنطاق الأسرى الذي أجراه الرسول ﷺ مع غلامي قريش قبل المعركة في معرفة عدد قوات قريش، كما كان استنتاج أبي سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعوا موقع «بدر» ومعرفة هويتها رائعاً حقاً.

**القيادة:** برزت مزايا الرسول ﷺ في القيادة بمعركة بدر بالشجاعة وضبط الأعصاب، وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثناء وبعد المعركة ومساواة أصحابه مع نفسه، بكل شيء كما طبق الرسول القائد - عليه أفضل الصلاة والسلام - لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم للمعركة وأمن حراسته.

#### الضبط والمعنويات والعقيدة:

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين، والمعنويات العالية، والعقيدة الراسخة في انتصار المسلمين على قريش وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار في كل حرب<sup>(١)</sup>.

٥- لا شك أن غزوة بدر الكبرى كانت قبل ظهور النفاق بالمدينة المنورة فقد دخل المنافقون الإسلام بعد هذه الغزوة المباركة التي ظهرت فيها قوة المسلمين، وارتفع شأنهم، وذاع صيتهم، وأصيب أعداؤهم بالهيبة منهم فقد نصرهم الله عزَّ وجلَّ مع قلة عددهم وعددهم، وتمنن عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [الأنفال: ١٢٣].

= النبي ﷺ : «ضعه من حيث أخذته» ثم قام فقال: نفلني يا رسول الله فقال: «ضعه» فقام فقال: يا رسول الله! نفلني أأجعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبي ﷺ : «ضعه من حيث أخذته»، قال: فنزلت هذه الآية ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١٠] (١٢ / ٥٤) صحيح مسلم.

(١) «الرسول القائد» (١٢١، ١٢٢) «دار الفكر».



وكان هؤلاء الثلاثة المباركة هم أعمدة الدين وأفضل المسلمين بعد الأنبياء والمرسلين وورد في فضلهم الآثار. عن علي عليه السلام قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقال قيس بن عباد، وفيهم أنزلت: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اُخْصِمُوا فِي رِبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة»<sup>(١)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: « ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »<sup>(٢)</sup>.

وقال غلام لحاطب للنبي صلى الله عليه وسلم: ليدخلن حاطب النار. قال: «كذبت إنه قد شهد بدرًا والحديبية»<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه البخاري (٢٩٧/٨، ٢٩٨) التفسير.

(٢) سيأتي تحريجه - إن شاء الله - في فتح مكة.

(٣) رواه مسلم (٥٧/١٦) فضائل الصحابة، والترمذي (٢٤٥/١٣) «المناقب».